الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام في فكر علماء الازهر الشريف
(عبد الحليم الجندي أنموذجاً)

الأستاذ المساعد الدكتور
عدنان عبد الخفاجي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات
adnan.tallag@uokufa.edu.iq

المقدمة:

إن الحديث عن وسيرة الإمام جعفر بن الصَّادق عليه السلام آبائه عليهم السلام هو من(أجمل الحديث، ولكون سيرتهم العطرة المضمخة بالأريج أعذب السير، وكون حياتهم المعطاة الدفّاقة بالخير أسمى ما عرفت البشرية من حياة فيما تنشر من بركة، وتمنح من عطاء، وتُضْفي من ألق وتوهّج نور).

والإمام جعفر الصادق يقف شامخا في قمة فقه أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام. هو في الفقه إمام. وحياته للمسلمين إمام. والمسلمون اليوم يلتمسون في كنوزهم الذاتية مصادر أصيلة للنهضة؛ مسلمة غير مخلطة ولا مستوردة.

وهو زعيم روحي عالم بالكتاب والسنة مجتهد في استنباط الأحكام في ضوء القرآن الكريم فهو عبقري استقى علومه من منهل الرسالة العذب، فبلغ بنبوغه واجتهاده وقدرته المنزلة الرفيعة في حل مسائل الفقه والإتيان بنظريات رائدة سبق بها عصره في الفلسفة وعلوم الطبيعة والفلك، وجاءت القرون الطوال من بعده، فأثبتت صدق نظرته بعد تجارب ومكتشفات أجراها علماء العصور، ناهيك عن المسائل الإلهية والإنسانية والاجتماعية والحضارية التي فاتت فلاسفة عصره.

والإمام الصادق عليه السلام سليل بيت النبوة ووارث فضائلها ومناقبها ومفاخرها وعلومها وحكمتها، فكان في ورعه وزهده وفي دينه وتقواه، وفي علمه وفقهه مثالا يقتدى به وفي نضاله للخطوب وفي مجابهته الظلم ومقاومته للطغيان، وفي خبرته بالحياة، وفي حبه للسلام، وكراهيته لإراقة الدماء، بل في كل محمدة من المحامد التي يذكر بها الناس ويعرف بها عظماء التاريخ.

المبحث الاول

الإمام جعفر الصادق عليه السلام ولادته ووفاته وبعض من سيرته

الإمام جعفر الصادق عليه السلام سادس الائمة ألاثني عشر عند الشيعة الامامية الجعفرية، فهو ابن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[١]. ولد عليه السلام في ١٧ ربيع الأول بالمدينة المنورة سنة ٨٣ للهجرة يوم الجمعة[٢]. استشهد عليه السلام في ٢٥ شوال سنة ١٤٨، مسموماً على يد أبي جعفر المنصور الدوانيقي بسمٍّ دسّه إليه في العنب فكانت مدة حياته خمساً وستين سنة أقام مع جده علي السجاد اثنتي عشرة سنة ومع أبيه تسع عشرة سنة، وعاش بعدها أربعاً وثلاثين سنة، ودفن مع أبيه وجده وعمه الحسن عليهم السلام في البقيع[٣]. لقب عليه السلام بألقاب عدّة منها: الصادق، والصابر، والفاضل والطاهر، والقائم، والكامل، والمنجي، وأشهرها الصادق؛ لأنه أصدق الناس في حديثه وكلامه وقيل: إن المنصور الدوانيقي أضفى عليه هذا اللقب؛ عندما طلب أبو مسلم الخراساني من الإمام عليه السلام أن يَدُلَّه على قبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فامتنع، وأخبره أنه إنما يظهر القبر الشريف في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور، وأخبر أبو مسلم المنصور بذلك في أيام حكومته، ففرح بذلك، وقال: هذا هو الصادق[٤]. وكان الإمام الصادق عليه السلام يكنّى بأبي عبد الله، وأبي إسماعيل، وأبي موسى المشهور كنيته بأبي عبد الله[٥].

كثرت كلمات المدح والإكبار والإطراء، وعبارات الثناء والإشارة في حق الإمام الصادق عليه السلام.

قال في حقه عليه السلام أبو حنيفة: (لولا السنتان لهلك النعمان)[٦]. أي: السنتان اللّتان انتهل بهما أبو حنيفة من علم الإمام الصادق عليه السلام.

وقال في حقه عليه السلام الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): (جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب)[٧].

وكان رواة حديثه ٣٦٦٢ شخصاً، الذي حَدَّثَ به عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله معظمهم من أهل الكوفة[٨].

تراثه العلمي

قال الشيخ المظفر: ما روي عنه بلا واسطة ثمانون كتاباً، وبواسطة سبعون كتاباً.عرِفت لجعفر الصادق مؤلفات كثيرة في فنون شتى من العلم: في الكلام والتوحيد وسائر، أصول الفقه والطب، والاحتجاج والحكم والمواعظ والآداب وغير ذلك مما يكاد لا يحيط به الحصر وتكلفت بجمعه كتب الإخبار والأحاديث ومن مؤلفاته:

- رسالته الى النجاشي والى الأهواز المعروفة برسالة عبد الله بن النجاشي.
- رسالة للإمام الصادق عليه السلام أوردها الصدوق في الخصال.
- الكتاب المسمى بتوحيد المفضل وهو من تأليف الصادق عليه السلام وهو أحسن كتاب في رد الدهرية واثبات الصانع وهو برواية المفضل بن عمر وهو موجود في ضمن كتاب البحار وقد طبع مستقلا على الحجر بمصر، وطبع أيضا في استانبول[٩].
- كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة
- رسالته الى أصحابه ورواها الكليني في أول روضة الكافي.
- رسالته في الغنائم ووجوب الخمس أوردها في تحف العقول[١٠].
- رسالته في احتجاجه على الصوفية فيما ينهون عنه من طلب الرزق.
- كتاب الجفر: اسم كتاب في الجفر منسوب الى الإمام ع. وقد ذكر ابن قتيبة إن كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر بن محمد الصادق وفيه كل ما يحتاجون الى علمه الى يوم القيامة[١١].

المستشار عبد الحليم الجندي (سيرته)

المستشار عبد الحليم الجندي - رحمه الله - احد علماء الازهر

المستشار المصري عبدالحليم الجندي عالم مصري شغل عدة مناصب:

١- الرئيس السابق لإدارة قضايا الحكومة

٢- عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

٣- مستشار في المحاكم المصرية

٤- رئيس لجنة تجلية مبادئ الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٥- عضو لجنة الشريعة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

جاء إلى الرياض زائرا وبالتحديد جاء أستاذا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٣٩٥-١٣٩٦هـ. المؤلف أستاذ أديب. ومحام نابه. كان محاميا عن الأفراد وقتا ما، ومحام عن الحكومة في مجلس الدولة.

ومن مؤلفاته

- القرآن والمنهج العلمي - دار المعارف -
- المنهج العلمي المعاصر مستمد من القرآن -في السيرة النبوية - دار المعارف
- أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام - دار المعارف -
- الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول - دار المعارف -
- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة - دار المعارف -
- (الإمام) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة - دار المعارف -
- الإمام علي بن أبي طالب - دار المعارف
- الإمام جعفر الصادق - دار المعارف
- الإمام محمد بن عبد الوهاب - دار المعارف
- الإمام محمد عبده -دار المعارف
- الشريعة الإسلامية - دار المعارف
- أئمة الفقه الإسلامي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- المحامون وسيادة القانون (مارشال هول-هنري روبير- مصطفى مرعي)-دار إتحاد العربيين

- تطوير التشريعات - وزارة الثقافة -مجموعة مذكرات قضائية (جزءان)
- من أجل مصر البطل أحمد عصمت - المطبعة التجارية المدنية أبحاث منشورة
- الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع - مجلة إدارة قضايا الحكومة١٩٧١ -
- نحو تقنين جديد للعقوبات المدنية من الفقه الإسلامي - مجلة إدارة قضايا الحكومة ١٩٧٦.
- نحو تقنين جديد للمعاملات المدنية من الفقه الإسلامي-مقدم لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٦
- حول صياغة الدستور الإسلامي - مجلة إدارة قضايا الحكومة ١٩٧٩ -
- المسؤولية المدنية في النظام الأشتراكي - مجلة مصر المعاصرة ١٩٦٧ -
- تطوير التشريعات في الجمهورية العربية المتحدة - مجلة مصر المعاصرة١٩٦٦ -
- توحيد الأمة العربية بتطوير شرائعها -مجلة مصر المعاصرة ١٩٦٦ -
- الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الإسلامية - مقدم لمؤتمر الرباط ١٩٧٦
- بطلان التفتيش بغير إذن -المحاماة ١٩٣٣
- تصرفات السفهاء قبل الحجر -المحاماة ١٩٣٧ -
- التشريع العربي - كتاب الوطن العربي دار المعارف
- الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي - دار المعارف
- جرائم واغتيالات القرن العشرين[١٢].

المبحث الثاني

بعض الجوانب الاخلاقية في المُؤلَف

كتاب نفيس وضعه الأستاذ عبد الحليم الجندي وابرز ما في الكتاب تصويره حياة الامام الصادق عليه السلام، فجاء كتابه دراسة لشخصية الامام الكبيرة وتحليلها بالطريقة والأسلوب اللذي نهجه الأستاذ عبد الحليم الجندي قيمة في توسيع الأفق الثقافي والذهني، ففي خلال هذه

الدراسة يطالع القارئ وصفا دقيقا لحياة الامام ، وعاداته وأخلاقه وعلاقاته بالاخرين..

هو الإمام الوحيد من " أهل البيت " الذي أتيحت له إمامة دامت أكثر من ثلث قرن، تمحض فيها مجلسه للعلم، دون أن يمد عينيه إلى السلطة في أيدي الملوك. وبهذا التخصص سلم الأمة مفاتح العلم النبوي ومنه يبدأ التأصيل الواضح لمنهج علمي عام للفكر الإسلامي، نقلته أمم الغرب فبلغت به مبالغها الحالية. وعمل به بين يديه، ثم أعلنه، تلميذه جابر بن حيان أول كيمائي كما تبايع له " أوروبة الحديثة "، وهو " منهج التجربة والاستخلاص "، أي الاعتبار بالواقع وتحكيم العقل، مع النزاهة العلمية.

فالإمام الصادق هو فاتح العالم الفكري الجديد، بالمنهج العقلاني والتجريبي، كأصحاب الكشوف الذين فتحوا أرض الله لعابده فدخلوها آمنين.

والإمام الصادق هو الإمام الوحيد في التاريخ الإسلامي، والعالم الوحيد في التاريخ العالمي، الذي قامت على أسس مبادئه " الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية " دول عظمى(١٣).

ومصر تذكر منها أكبر دولة عرفها التاريخ فيها من عهد الفراعنة - الدولة الفاطمية - التي امتد سلطانها من المحيط الأطلسي إلى برزخ السويس. ولولا هزيمة جيوشها أمام الأتراك لخفقت أعلامها على جبال الهملايا في وسط آسيا.

والعالم كله مدين لها بمدينة القاهرة. والمسلمون يدينون لها بالجامع الأزهر، الذي حفظ القرآن والسنة واللغة العربية، وعلومها كافة. ويدينون لتعاليم الإمام بقيام دولة كبيرة في إيران. ومجتمع عظيم بالعراق. ومعاهد علمية يتصدرها النجف الأشرف، وشعوب قوية في الهند وباكستان واليمن وأفغانستان ووسط آسيا ولبنان وسورية كثير سواها.

وهو الإمام الذي علم بالمواقف التي وقفها، قدر ما علم بالمبادئ التي أرساها. فالمواقف أعمال. وهي أعلى صوتا من الأقوال. ولقد يعدل الموقف الواحد جهاد عمر كامل، أو مهمة حياة رجل.

وهو، بمكانه من " أهل البيت "، وحقه في الخلافة، وإمامته للفقهاء بلا استثناء، كان غرضا يطلبه أعظم خلفاء بنى العباس ليضيفه إلى قوائم القتلى من صناديد القواد، أو

الشهداء من " أهل البيت ".

وكان درسا من السماء أن يسيطر الإمام على الميزان إذ يلتقيان، فيضعف الطالب عن المطلوب، ويرتفع الإمام الصادق بالخليفة القاتل إلى مستوى الحاكم العادل.

ان اهتمام الامام الصادق "عليه السلام" بالعلم وأهله، لم يكن بسبب أهمية العلم فقط، وانما من أجل خدمة العقيدة والدين الاسلامي، والتصدي للفرق الضالة، والمذاهب الفكرية المنحرفة، وذلك ان عصر الامام الصادق "عليه السلام" شهد منطلقات فكرية متعددة استخدمت لطروحاتها آليات متنوعة مستندة على أرثية حضارية لعدد من الامم والحضارات الأخرى، فكثرت الفرق المغالية ونشطت الزنادقة والالحاد.

فالكتاب الحالي يبلغ غرضه إذ كان صوتا يدعو إلى الوحدة. والمسلمون تجمعهم أصول فكرية واحدة، وإن اختلفت الفروع أو تعددت الآراء. وفي تعدد الآراء ثراء. ولما عرض تلميذ لأحمد بن حنبل تسمية كتاب له " كتاب الاختلاف " قال له " سمه كتاب السعة ".

وحياة الامام تقسم في ترجمتها قسمين: الأول عن الرجل، والثاني عن علمه. وعلى ذلك وردت الصورة التي صور فيها المؤلف هذه الحياة في قسمين. كل منهما في ثلاثة أبواب.

القسم الأول: يدور حول ظهور الإسلام وتألق " علي " وأولاده من " فاطمة الزهراء " في الصدارة من الأشخاص والأحداث، والبيئة التي نتج فيها الإمام الصادق. فتعاونت على إعداده ظروف الوفاء، أو العداء، لأهل البيت، لتهئ منه إماما خصيصته تعليم العلم الذي تلقاه عن جديه، وطريقته الأسوة الحسنة في أعمال حياته، وتحمل التبعات حيث تزوغ الأبصار.

والقسم الثاني: من الكتاب يعرض تصور المؤلف للعلم الذي علمه الإمام، والمدرسة التي أنتجته، والمنهج العلمي، العالمي، الذي أخذ به العلماء الدينيون والفقهيون، والرياضيون والفلكيون والكيمائيون وعلماء الطبيعة الإسلاميون، ونقله عنهم رياضيو العصور الوسيطة في أوربة، ليصير " منهج التجربة والاستخلاص " الذي يعمل به الفكر المعاصر، بعد إذ ترجم من العربية في جنوب فرنسا وإسبانيا وصقلية وسواها من جامعات أو

روبة، وسبق إلى التنويه به " روجير بيكون " ثم نسب إلى " فرنسيس بيكون " بعد ثلاثة قرون - وكذلك المنهج السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي أقام الدول العظمى والمجتمعات الإسلامية التي يباهي بها المسلمون في العصر الوسيط وفي العصور الحديثة.

وفي هذا القسم باب أخير تبدو فبه عدالة التاريخ مصححة لانحراف الأعداء وافتياتهم على أبناء علي. كما يظهر فيه نصر الله للمسلمين إذ يتحدون.

على الرغم من الظروف السياسية المضطربة التي عاصرها الامام الصادق، والتدهور الاقتصادي الذي شهدته الدولة العربية الاسلامية خلال تلك الحقبة، الا ان الجوانب الفكرية والثقافية تميزت بمواصلة نشاطاتها، حيث انها لم تتأثر بتلك الظروف، ولذلك تبنى الامام الصادق ركائز فلسفته الفكرية والسياسية وفق قيادته لمؤسسة علمية واسعة النطاق لم تقتصر على الجوانب العلمية والفقهية فقط بل كانت لها انعكاساتها السياسية، حيث ساهمت حيثيات الواقع الذي كان الامام يعاصره في تكوين هذه المؤسسة التي يمكن اجمالها بالآتي:

أولاً:- معاصرة الامام الصادق لدولتين الأموية والعباسية.

مما لا شك فيه ان الامام واجه ازمة كبيرة الا وهي ان حكام الدولتين الاموية والعباسية كانوا يعملون لخلق مجتمع يسير على شاكلتهم ففرضوا أساليب الارهاب الفكري والقمع والتنكيل وأشاعوا الرعب والخوف لتحقيق اغراضهم.

يمكن القول ان الامام كان له دور ملموسٌ لتخفيف سطوة الارهاب الفكري والاجتماعي الذي مارسته السلطات الأموية والعباسية، من خلال مقاومة الظلم والاهتمام بالحياة العلمية والثقافية لذا كانت تشمل كافة العلوم والمعارف الانسانية كعلوم القرآن وتفسيره والحديث والفقه وعلم الكلام والفلسفة والكيمياء والطب وغيرها. ولذلك يُعتبر عصر الامام الصادق عصر الانفراج الفكريّ والثقافي لمدرسة أهل البيت "عليهم السلام"، طبعاً قياساً بالعهود السابقة التي مرّت بها الأمّة الإسلاميّة. وكان احد اهم اسباب الانفراج هو ضعف الحكم الأمويّ وانهياره. والبداية الضعيفة لدولة بني العبّاس، لذلك كان الإمام "عليه السلام" بعيداً عن المواجهة السياسيّة العلنيّة(١٤).

وقد أشاد الجاحظ بفضل الامام "عليه السلام" ومكانته العلمية التي تاثرت الناس بتراثها الغني بالمعارف قائلا: " وفجر الامام الصادق "عليه السلام" ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل وقد ملأ الدنيا بعلمه"(١٥).

كان الإمام قطعة من صميم الإسلام. جده عليه الصلاة والسلام " خلقه القرآن " أما هو فخلقه " سنة جده ". وجده يعلن سنته حيث يقول " أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح ". ويقول إن أول الواجبات في المال بعد الزكاة (بر الرحم إذا أدبرت). فالإمام في ساعة الموت يوصى لمن يليه. ويذكر الشفاعة. والصلاة. وصلة الرحم. وهو يريح رائحة الجنة(١٦).

في الوقت نفسه ان الامام عمل جاهداً من خلال مؤسسته العلمية والفكرية والثقافية التي اسسها لتحقيق مسألة في غاية الاهمية الا وهي تغير فكرة المجتمع من المواجهات السياسية والعسكرية الى المواجهة السلمية أي اراد أبدال مفهوم لغة السيف والدم كوسيلة لتحقيق الاهداف، ورفعه الى اسمى من ذلك بترسيخ قواعد الحوار وسيادة العقل كلغة للتفاهم وتحقيق الوحدة المتكاملة للمجتمع على اساس المحبة والتعاون والتكاتف واصلاح النفس بصحوة ضمير الفرد والمجتمع ونبذ الخصومة والجدالات العقيمة بقوله:" إياكم والخصومة في الدين !.. فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزّ وجلّ، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب"(١٧)، كذلك قال:" لا تخاصموا الناس !.. فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبونا لأحبونا، إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا يوم أخذ ميثاق النبيين، فلا يزيد فيهم أحدٌ أبدا، ولا ينقص منهم أحدٌ أبدا"(١٨).

يمكن القول ان الامام الصادق عمل على توضيح مفهوم الاعتراف الضمني بالواقع السياسي الحاكم لا يعني الاعتراف الشرعي به واقرار محكوميته، اي انها ليست دعوة للخضوع والتخاذل للسلطة بقدر ما يسمح به كمواطن لتأدية واجباته وصيانته بقوله:" لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلا فاسألوا الله بقاه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فان صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فاحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم"(١٩)، يبدو من ذلك أن المصلحة العامة تقتضي الاجبار على الهدوء بسيادة القانون وكحد فاصل لإيقاف دوامة العنف السياسي التي عصفت بالمجتمع الاسلامي، فأثرت بشكل سلبي على كافة ميادين

الحياة، ولهذا اعترف الامام "عليه السلام" بمشروعية المقاومة وفق الاطار السلمي[٢٠].

حيث عمل الامام الصادق على تصحيح المفاهيم الخاطئة المتعلقة بمشروعية العمل مع السلطة اولا بقدر ما يتعلق الامر بالمهمة الملقاة على عاتقه وفقاً للضوابط المحدودة لتحقيق المنفعة العامة بإقامة العدل ودفع الأذى والظلم والاحسان الى الرعية فكانت احدى وصاياه في الالتزام بهذه المسلمات الاساسية قائلا:"... كان حقاً على الله عز و جل أن يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة".

ثانياً: التصدي للأفكار والفرق الضالة:

كانت افكار الفرق الضالة مغايرة للإسلام ولكيانه الديني والسياسي، فعمل الامام الصادق على ابراز الفكر الفلسفي الاسلامي فكشف زيفها وادعاءاتها الباطلة على سبيل المثال لا الحصر افكار ابي العوجاء والديصاني والغلاة الذين تستروا باسم اهل البيت مدعين بذلك صفات الربوبية وغيرهم من الوضاعين.

يمكن القول ان اغلب هذه التيارات شكلت خطراً كبيراً على الاسلام وبنائه الداخلي، فعمل الامام الصادق على اعداد نخبه واعية قدر عددهم في المصادر التاريخية اكثر من اربعة الالف، على سبيل المثال لا الحصر هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، والفضل بن عمر، ومؤمن الطاق، وابان بن تغلب. وغيرهم حيث ان هؤلاء برعوا في علم الكلام والفلسفة والمناظرة والجدل واخذوا على عاتقهم الدفاع عن العقيدة والتوحيد وعقدوا الكثير من المناظرات مع الخوارج واصحاب الافكار المنسلخة عن الاسلام. فضلا عن جهود جابر بن حيان في الكيمياء، وزرارة، ومحمد بن مسلم، وحمران بن أعين في اصول الفقه والتفسير والحديث[٢١].

نستنتج من ذلك ان حركة الامام العلمية حملت ابعاد سياسية بحتة ولم تقتصر على المعنى الظاهري - العلمي والديني - بل ابعد من ذلك فان المدرسة الفكرية التي تخرج منها العديد من المفكرين ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في توعية المجتمع الاسلامي وجعلت لديه القدرة على التمييز بين الحاكم العادل و الحاكم الذي يفتقد للموازين والمؤهلات لقيادة الامة الاسلامية، فضلا عن قصورهم وافتقارهم للوعي الفكري والديني وجهلهم بالأحكام الشرعية. ولذا فقد تمتع الامام باستراتيجية الدفاع، وبهذا فقد ملأ الامام الفراغ الفكري في

ذلك الوقت.

نظرة الامام الصادق عليه السلام الى الأسرة في المُؤلَف:

قال الإمام الصادق عليه السلام (أصل الرجل دينه وتقواه. الناس في أدم مستوون) وهذه المساواة الفطرية تسبقها البنوة لآدم، ثم يبلغها أغراضها حدب القوى على الضعيف، والعالم على الجاهل، والذى أتيحت له الفرصة على من لم تتح له. ولما سأل الإمام رجلا: من سيد هذه القبيلة فأجاب: أنا. قال الإمام: لو كنت سيدهم ما قلت أنا.

ولما فصل المكرمات المطلوبة من الناس قال (المكارم عشر: صدق الناس، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وقرى الضيف وإطعام السائل، والمكافأة على الصنائع، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب. ورأسهن الحياء). فهو يبدأ بالصدق وأداء الأمانة. ثم يتبعها صلة الرحم ولها عنده أعلى مقام. فيها قيام الأسرة - وهى نواة المجتمع الإسلامي - بتنظيمها القانوني الذى لا ضريب له في أمم غير أمة الإسلام. يقول:" خمسة لا يعطوا شيئا من الزكاة. الأب والأم والولد والزوجة والمملوك. لأنهم عياله ولازمون له " فالانفاق على هؤلاء فرض. والصدقات مع وجوبها وتعميمها والحث عليها، لا تستحق للناس إلا أن يكتفى ذوو الأرحام. يقول الإمام " لا صدقة وذو رحم محتاج ". ولو ظن واصل ارحم أنه يضع المعروف في غيره موضعه - وللمعروف دائما موضع - فالإمام يقول له: " لا تقطع رحمك وإن قطعك ". وقع كلام بينه وبين عبد الله بن الحسن (وربما كان ذلك من جراء يوم الأبواء، وسلف القول فيه) وكان عبد الله أعلى أهل البيت سنا، فأغلظ عبد الله القول. فلم يرد الصادق، ثم افترقا ثم تلاقيا على باب المسجد. فابتدره الصادق يقول " كيف أمسيت يا أبا محمد " ؟ (فهو أبو محمد المهدى - النفس الزكية - وإبراهيم والباقين، من بنى عبد الله بن الحسن). وقال عبد الله كالمغضب: بخير. قال الصادق: يا أبا محمد. أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب ؟ ثم تلا قوله تعالى (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) فقال عبد الله: فلا تراني بعدها قاطعا رحما. يقول الصادق إن رجلا أتى النبي فقال: يا رسول الله إنى لى أهلا قد كنت أصلهم وهم يؤذوننى وقد أردت رفضهم. فقال له رسول الله " إن الله يرفضكم جميعا " قال الرجل كيف أصنع ؟ قال " تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك. فإذا فعلت

ذلك كان الله عز وجل لك عليهم ظهيرا ".

كان الإمام يصلى عن ولده في كل ليلة ركعتين وعن والده في كل يوم ركعتين.. يقول في صدد الصلاة عن الميت إنه ليكون في ضيق فيوسع عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له خفف الله عنك ذلك الضيق لصلاة فلان أخيك عنك. ❖ ❖ ❖ وربما أجمل منهاج الصادق في القول والعمل للناس عامة، كلمات له يتناقلها الناس في كل مكان. (خير من الصدق قائله وخير من الخير فاعله). فهنا فضائل كثيرة مجتمعة. هي الخير. وصنعه. وإمكان الاقتداء بصانعه. وإعلان لرأى الإمام بأن الإيمان عقيدة وعمل. وأن العمل الصالح يحول الفكر المجرد، إلى فعل نافع أو أمر واقع. والعمل هو الوسيلة المنجحة إذا جرى مجرى الأصول. والصادق يروى عن على: (سمعت رسول الله يقول: عليكم بسنتى: فعمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة). والإمام يرى أن " رأس الحزم التواضع " وأن التواضع هو " الرضى بأن تجلس من المجلس بدون شرفك وأن تسلم على من لقيت. وأن تترك المراء وإن كنت محقا ". ويقول " من أكرمك فأكرمه ومن لم يكرمك فأكرم نفسك عنه ". ويضيف إلى ذلك " إنك لن تمنع الناس من عرضك إلا بما تنشره عليهم من فضلك ". وهذا الفضل بعض المعروف. أما عن تمام المعروف فيقول (المعروف لا يتم إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره وستره). يقول " العافية نعمة يعجز عنها الشكر " بل يقول " المعروف زكاة النعم ". والله تعالى يقول " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ". فما أكثر ما يستحق الناس من المعروف عند المسلم الصادق.

والسخاء سمو، ولو من الجاهل يقول الإمام " جاهل سخى أفضل من ناسك بخيل ". فلتتصور مجتمعا يسود فيه السخاء. ويعم العطاء، ويتواتر المعروف، ليتعاون الناس في دنياهم. وتستوثق القربى فيهم، فتزداد لحمة الأسرة وثاقة، ثم تلتزم الجماعة والأفراد بالمكارم العشرة التى نص عليها الإمام ! إنه المجتمع الإسلامي !. لنقرأ وصية الإمام لعبد الله بن جندب، لنلمس مواقع الجمال والكمال في هذا المجتمع. (لا تكن بطرا في الغنى ولا جزعا في الفقر. ولا تكن فظا غليظا يكره الناس قربك. ولا تكن واهنا يجفوك من عرفك. ولا تشار من فوقك. ولا تسخر ممن دونك. ولا تنازع الأمر أهله. يا ابن جندب: لا تتصدقن على أعين الناس يزكوك. فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك. ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك. فإن الذى تتصدق له سرا يجزيك علانية. فقد علم ما تريد).

نظرة الامام الصادق عليه السلام الى المرأة في المُؤلَف:

المرأة في فقه الإمام عناية بالغة في الزواج والطلاق والميراث... وهى دعائم الأسرة وقوائم المجتمع. وقد كان اهتمامه الاجتماعي بالأسرة أو بالمرأة لا يقف عند الحكم الفقهى وإنما يتعداه إلى الترغيب والتهذيب بالنصح الدؤوب. فمرآة المجتمع العظيم الأسرة السعيدة، وزينتها وحليتها المرأة الصالحة. وهى نصف الناس. وأم الجميع. يقول الإمام (اتقو الله في الضعيفين: اليتيم والنساء)[٢٢]. ويقول: (البنات حسنات والبنون نعم. الحسنات يثاب عليها. والنعم مسؤول عنها). وإذا كان البنات حسنات يلقى بهن المرء بارئه، فيزدنه درجات، فالإمام يجعل للامهات درجة في طاعة أوامرهن، فيأمر بالمبادرة بطاعة الأم. إذا دعا الأبوان. ويلقى على الأم في دارها واجب استثمار الزمن في خدمة الأسرة والأمة. ويفرض على المجتمع واجب إحصان أفراده بالتيسير في المهور. وعلى المرأة واجب التعاون في إنجاح الزوجية بالوفاء بحق الزوج. ويجمع بين حسن التبعل وبين حسن الجوار. فيقول: " الشؤم في المرأة كثرة صداقها وعقوق زوجها - وفي الدار ضيق ساحتها وشر جيرانها ". يقول عليه الصلاة والسلام (عملوا أبناءكم السباحة والرماية، ونعم لهو المرأة في بيتها المغزل) فهن مطالبات ألا يفتحن الأبواب للشيطان بالفراغ. مطالبات بأن يعملن ما يجمل بهن. والمرأة التى تمسك المعزل بيد. وتهز مهد الطفل بيد. تضم بين ذراعيها أسرة سعيدة. ولقد كان النساء آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم. يقول الإمام (صلاح حال التعايش على مكيال ثلثاه فظنة وثلثه تغافل) وهذه الا ثلاث تتردد في مضامين ثلاثيات شتى. تجتمع وتفترق. لكنها كلها أركان لسعادة المجتمع الكبير الذى هو الأمة، والصغير الذى هو الأسرة.. وهنا يستلفت الأنظار إلى ما يجب من إحسان العشرة، بالسلوك الرفيع والإنفاق اللازم. واحترام الذات حيث يقول " إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها، وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة. وسعة بتقدير، وغيرة بتحصن ". ثم يقول ليبين أثر المرأة في سلام الأسرة " ثلاث من ابتلى بهن كان طائح العقل: نعمة مولية، وزوجة فاسدة، وفجيعة نجيب " فهو يضع فسادها في منزلة بين المنزلتين. النعمة الضائعة، والفجيعة الحالة. في حين يقدمها عند صلاح حالها على فلذة الكبد والصديق الصافى إذ يقول " الأنس في ثلاثة: الزوجة الموافقة والولد البار والصديق الصافى ". والرجل رأس الأسرة، لا يلقى مقاده أو مقادها إلى الزوجة، وإلا غرقت السفينة. يقول الإمام " ثلاثة من

استعملها فسد دينه ودنياه. من ساء ظنه، وأمكن من سمعه، وأعطى قياده حليلة ". وفي هذه الثلاثية تجتمع سلبيات خلقية ثلاثة في دنيا الرجل. فتحل الأشباح محل الأشياء، والأصداء محل الأصوات، والنساء محل الرجال. وليس هذا عالم المسلمين. وفي ثلاثية أخرى نرى تصنيفا من نوع خاص " النساء ثلاثة: واحدة لك وواحدة عليك ولك. وواحدة عليك. أما التى لك فهى العذراء. والتى لك وعليك فهى الثيب. أما التى عليك فهى المتبع التى لها ولد من غيرك " وإنما ينبه الإمام الرجال ليزداد برهم بمن يمكن أن تكون لهم أو عليهم، كى يتكلفوا لها خصالا نص عليها: معاشرة جميلة وسعة بتقدير وغيرة بتحصن. ❖ ❖ ❖

جدول باهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف:

اعتمد المؤلف في كتابه على عدد من المصادر وعددها ٧٢ مصدرا، ولم يبين مكان وسنة الطبع. ومن اهمها:

- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر.
- الإمام الصادق: محمد ابو زهرة
- الشيعة واصولها: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
- المختصر النافع في فقه الإمامية: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي ٦٧٦هـ
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: الشهيد الاول محمد بن جمال الدين المكي العاملي
- النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي
- المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي
- فقه الإمام جعفر الصادق: محمد جواد مغنية
- الشيعة في الميزان المؤلف: محمد جواد مغنية
- مع الشيعة الامامية: محمد جواد مغنية
- تسهيل الاحكام: السيد الشيرازي

- ابناء الرسول في كربلاء. خالد محمد خالد
- فضل ال البيت: للمقريزي
- نظرية الامامة عند الشيعة الاثني عشرية. د احمد محمود صبحي
- ابو الشهداء: للعقاد

هوامش البحث

(١) دلائل الإمامة، أبو جعفر بن جرير بن رستم الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١١٠، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبنلجي، مطبعة الحاج عبد السلام شقرون، مصر، الطبعة الثامنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٣م: ١٤٥.

(٢) تاريخ الأئمة ووفياتهم، ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ) تحقيق ثامر كاظم الخفاجي، مطبعة ستارة، قم - إيران- ٢٠١١: ١٧٥،

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي (ت٢٩٢هـ) دار الزهراء، الطبعة الأولى، ٢/ ٢٦٦.

(٤) موسوعة الإمام الصادق عليه السلام، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر شريف، مطبعة الوردي، الناشر مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، دار المعروف، الطبعة الخامسة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م: ٢٩،.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الشافعي (ت ٤٣٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠١٠م: ٣/ ٢٥

(٦) من أمالي الإمام الصادق، محمد الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان: ١٧٥.

(٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، اعتناء السندروبي، دار مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٩٥م: ١٠٦.

(٨) موسوعة الإمام الصادق- باقر شريف القرشي: ٦: ١٧

(٩) الطهراني، اقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، دت). ج ٣٠، ص ١٨

(١٠) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي (تحف العقول، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الاسلامي، إيران، ١٤٠٤ هـ، ص ٣٣٩

(١١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تحقيق إسماعيل الاسعردي، ط ١،دار الكتب). العلمية، بيروت، ص٧٥.

(١٢) http://www.maktbtna2211.com/book/24351 مؤلفات عبد الحليم الجندي

(١٣) الامام جعفر الصادق:، عبد الحليم الجندي، ص ٤

(١٤) نغم حسن الكناني، المواقف السياسية للامة الاثني عشر، (النجف الاشرف: مطبعة الرافد،٢٠٠٩)، ص٢٤٦.

(١٥) عبد الحليم الجندي، الامام الصادق عليه السلام، (القاهرة: دار المعارف)، ص١٠٦

(١٦) الامام جعفر الصادق:، عبد الحليم الجندي، ص ٣٤٣

(١٧) الصدوق، الاماني،(بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،٢٠٠٩)، ص١٢٨.

(١٨) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، (ايران: دار الكتب الاسلامية،١٣٣ش)، ص١٣٤.

(١٩) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،١٤١٤هـ)، ج١٦، ص٢٢٠.

(٢٠) نغم حسن الكناني، المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٢١) اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الاربعة، (بيروت: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي) ج١، ص٧٨؛ نغم حسن الكناني، السابق، ص٢٤٦.

(٢٢) الامام جعفر الصادق:، عبد الحليم الجندي، ص ٣١٢.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تحقيق إسماعيل الاسعردي، ط ١،دار الكتب. العلمية، بيروت
- أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، (ايران: دار الكتب الاسلامية،١٢٣ش)
- اسد حيدر، الامام الصادق والمذاهب الاربعة، (بيروت: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي)ج١.
- تاريخ الأئمة ووفياتهم، ابن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ) تحقيق ثامر كاظم الخفاجي، مطبعة ستارة، قم - إيران- ٢٠١١
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي (ت ٢٩٢هـ) دار الزهراء، الطبعة الأولى، ٢/ ٢٦٦.
- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي (تحف العقول، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الاسلامي، إيران، ١٤٠٤ هـ،
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الشافعي (ت ٤٣٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠١٠م ٢٥
- دلائل الإمامة، أبو جعفر بن جرير بن رستم الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١١٠
- رسائل الجاحظ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، اعتناء السندروبي، دار مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٩٥م
- الصدوق، الاماني،(بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،٢٠٠٩).
- الطهراني، اقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، دت). ج ٣٠
- عبد الحليم الجندي، الامام الصادق "عليه السلام"،(القاهرة: دار المعارف)١٩٨٦
- محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،١٤١٤هـ)، ج١٦.
- من أمالي الإمام الصادق، محمد الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- موسوعة الإمام الصادق عليه السلام، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر شريف، مطبعة الوردي، الناشر مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، دار المعروف، الطبعة الخامسة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- موسوعة الإمام الصادق- باقر شريف القرشي

- نغم حسن الكناني، المواقف السياسية للامة الاثني عشر،(النجف الاشرف: مطبعة الرافد،٢٠٠٩).
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبنلجي، مطبعة الحاج عبد السلام شقرون، مصر، الطبعة الثامنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٣م: ١٤٥.

http://www.maktbtna2211.com/book/24351 مؤلفات عبد الحليم الجندي